

## صورة الشرق في الأدب والفن الفرنسيين منذ القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر

ميخائيل ف. كلينكنبرغ \*

تعدّ هذه الدراسة موجزا لنتائج أبحاثي حول صورة الشرق في الأدب والفن الفرنسيين منذ القرن السابع عشر حتى بداية الحرب العالمية الأولى (1). للقيام بهذا كان تحليل بنية وتطور صورة الشرق - أو الأفضل صور الشرق - أمرا ضروريا ما دام أنه ليس هناك صورة متجانسة وثابتة ومقبولة على مستوى تعاقبي تضم مكوناتها الثابتة والمتحولة من خلال مركزية النص والصور الفنية في علاقة مع أهميتها الأدبية والفنية والاستدلالية ومع النظرة إليهما في نسق الخطابات السياسية والاجتماعية.

تعني كلمة الشرق منذ القرن السادس عشر في فرنسا الدول الإسلامية حيث تتداول اللغات الشرقية الرئيسية. على المستوى الثقافي حدد هربلوت (1625- 1695) (Herbelot) في مكتبته الشرقية لسنة 1697م (2) الشرق بالنسبة لفرنسا في البلدان الناطقة بالعربية والفارسية والتركية. ومع التعريف الجيوسياسي الجديد للشرق منذ نهاية القرن الثامن عشر أصبح هذا المصطلح يغطي بالخصوص كل أراضي الإمبراطورية العثمانية وأقاليمها، حتى وإن كانت بشكل صوري فقط جزءا منها بما في ذلك اليونان والبلقان والقوقاز والمغرب أيضا باعتبارها موضوع المسألة الشرقية التي كانت آنذاك محور السياسة العالمية.

إن تعريف الأدب - كما تم توظيفه في هذه الدراسة - شمولي ويضم الأعمال الخيالية كذلك، لهذا فهو يضم الأعمال الأدبية بالدرجة الأولى، كما يشمل الأعمال الفلسفية والتاريخية وأدب الرحلات أيضا. من الضروري لدراسة تمتد عبر قرون أن تكون بهذه الشمولية مادام أنه يفترض فيها أن تساير الخطاب حول الشرق الذي تمخضت عنه صور الشرق في الأدب. عوض خطاب الاستشراق الذي جاء به إدوارد سعيد (3) (Edward Said) في دراسته حول الاستشراق، هناك خطاب شرقي أو شبكة خطابات فعلا معقدة، تؤسس وتضع للشرق تقييما فنيا وفلسفيا وسياسيا على مختلف مستويات الخطاب، من خلال صور الشرق المتكاملة والمتناقضة في نفس الأوان. ظهر هذا الخطاب في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتم تطويره في ميدان الأدب خاصة وقد حدد بشكل أساسي النظرة إلى الشرق. لم تظهر الرسوم التي تتخذ من الشرق موضوعا لها إلا في بداية القرن التاسع عشر وقد كانت أهميتها أساسية هي أيضا.

يوجد خطاب الشرق داخل نسق الخطابات الفنية والفلسفية والسياسية العامة ويقترن بالفترات الثقافية الخاصة بها. وبما أن صور الشرق تنبثق من هذه الخطابات التي حددتها وصقلتها الأعمال المختارة وأصحاب هذه الأعمال، فإن هذه الدراسة تركز على التناص والفضاء الوسيط لتلقي هذه الأعمال وعلى توافقها في تقديم مطابق لتطورها من وجهة نظرية كرنولوجية في غالب الأحيان. والشرق كبنية أثبت أنه عالم مركب من النصوص والصور في معنى مجازي وفني. هذا التناص وهذه الوسطية بالضبط هي الخصائص التي تبرز في حركة عكسية عملية تداخل الأنواع الأدبية.

وقع الاختيار على الأعمال التي تم تحليلها بسبب قيمتها الأدبية والفنية وأيضاً لأهمية وقعها على الخطاب، بالطبع يختلف المستويان بعضهما عن بعض بخصوص نوعية وكمية التلقي - التحصيل - ورغم ذلك فالتلقي المزامن والتناص عاملين حاسمين مذ كان ضروريا تحديد صورة أو صور الشرق المتعلقة بمرحلة ثقافية معينة، لهذا فكل الأعمال المختارة أسهمت إلى حد ما في بلورة صورة الشرق سواء تعلق الأمر بطبقة وسطى عريضة أو بنخبة سياسية وثقافية.

إلى حدّ الآن ركز البحث عن صورة الشرق في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر انطلاقا من حملة نابليون على مصر وخاصة على المذهب الرومانسي والرحلات الشرقية وعلى لوحات المستشرقين. يعتمد معظم هذه البحوث على البنية التقليدية للأغرابية (exoticism) أو على خطاب الاستشراق لادوارد سعيد وعلى نظرية التحول (الذات والآخر) (Alterity) لما بعد البنوية. مع ذلك فهناك غياب لدراسة شاملة تتبنى منظورا عاما يعتمد على تحليل معمق للنص والصورة، على التناص ووسطية التوافق في تطوير وصقل الصور الخاصة بالشرق منذ القرن السابع عشر حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

لا تقلّ الدراسة الفلسفية لتيري هنتش (Thierry Hentsh) حول نظرة الغرب للشرق أهمية وتعتبر أطروحته أساسية بالنسبة لهذا البحث. فهو أخذ بالتحليل كلا من أسس البعد الخيالي (شرق الخيال) وديكوتوميا - جدلية - العلاقات بين الشرق والغرب. بالرغم من أنه يتم عموما القبول بجوهرية هذه الجدلية أو بهذا الصراع بين الأضداد فإنه تم في الأصل بلورتها في عصر النهضة، وتم إسقاطها على العصر القديم. أكثر من هذا أخذ هنتش بالدرس وطور هذا المفهوم الذي حدد وهيمن إلى يومنا هذا على نظرة الغرب إلى الشرق مع الإشارة إلى نصوص أدبية وتاريخية وفلسفية نموذجية، وإلى الأحداث السياسية والثقافية التي رافقتها، وقد تعامل بالمناسبة مع خطاب الاستشراق لادوارد سعيد ومع إشكالية مركزية أوروبا في الخطاب والتحول أيضا (4).

في السنوات الأخيرة وبسبب أحداث السياسة العالمية ومركزية خطاب الشرق وهيمنته إلى جانب صراع الحضارات الذي تمت صياغته في الأونة الأخيرة، فإن تحليل تطور النظرة إلى الشرق بالغ الأهمية، سواء بالنسبة للوقت الحاضر أو في المستقبل. لقد بينت دراسة سابقة حول دور الاتحاد الأوروبي في مساعي السلام بالشرق الأوسط إلى أي حد تهيمن على سياسة أوروبا الشرق أوسطية (5) نظرة تم تحديدها أساسا انطلاقا من معايير تم وضعها منذ بداية القرن السابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر خاصة في فرنسا. إضافة إلى هذا تأثرت سياسة أوروبا الشرق أوسطية بالسياسة العربية الجديدة لديجول (De Gaulle)، والتي تجد جذورها هي أيضا

في السياسة العربية الفرنسية للقرن التاسع عشر والتي تعتمد على مفاهيم إيديولوجية تعود إلى أواخر عصر التنوير(6).

لقد تأثرت النظرة إلى الشرق داخل البلدان الأوروبية تبعاً لتداخل العلاقة السياسية لهذه البلدان بالإمبراطورية العثمانية وتوسعاتها. فبينما كانت فرنسا حليفاً للباب الأعظم عبر اتفاقيات منذ القرن السادس عشر، فإن البندقية وهسبورغ كانت تقريباً في حرب مستمرة مع العثمانيين حتى نهاية القرن السابع عشر. لهذا فإن عملية تحلل الإمبراطورية قد بدأت نوعاً ما متأخرة في هذه البلدان أكثر منه في فرنسا، وذلك حين توقفت التهديدات العسكرية والثقافية التي كانت عرضة لها.

في فرنسا وفي اندماج مع العمل الأدبي، الشرق الروائي(7)، ظهرت التراكيب والمودا الشرقية في بداية القرن الثامن عشر على نهج أنطوان كلون (Antoine Galland) من خلال ترجمته لألف ليلة وليلة (12 جزءاً 1704 - 1717)، وبسبب التأثير العام للتنوير الفرنسي في أوروبا خاصة من خلال أعمال مونتسكيو (1689- 1755)، (Montesquieu) وفولتير (1694- 1778)، ومن بعد ذلك الثورة الفرنسية وإيديولوجيتها الفلسفية التاريخية التي وضع قواعدها فولني (1757- 1820) (Volney) بشكل حاسم في أواخر عصر التنوير، ولكن أيضاً وانطلاقاً من علاقات فرنسا المتميزة والطويلة الأمد مع الإمبراطورية العثمانية، فإن نظرة الغرب إلى الشرق قد تم صقلها في فرنسا على المستويين السياسي والفني، وأكثر من هذا فإن باريس أصبحت عند نهاية القرن الثامن عشر مركزاً للدراسات الشرقية في أوروبا(8). وقد استمرت هذه الهيمنة الفرنسية خلال القرنين 19 و20 بفضل علاقات باريس الودية مع العالم العربي.

وعلى ذلك فإنه لا بد لهذه الدراسة من أن تبين كيف أن النظرة إلى الشرق قد عرفت تطورات في فرنسا حتى بداية القرن العشرين، وكيف أن صورة الشرق الفنية وصورته السياسية يرتبطان بعضهما ببعض. لهذا فالسؤال الذي يجب طرحه هو: إلى أي حد وفي أي صيغة تم صقل صورة الشرق إلى يومنا هذا من خلال الصور الثابتة وكليشيهات النظرة الفنية، ومن خلال العناصر الإيديولوجية المتحركة للعصور الوسطى، والخطابات السياسية والفلسفية للقرنين السابع والثامن عشر؟ أو القول: ما هي الثوابت التي كانت تحدد منذ القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا النظرة إلى الشرق في الخطاب المعاصر وبالتالي علاقات أوروبا بالشرق الأوسط أيضاً؟

في العصور الوسطى وعصر النهضة كان الجدل المناهض للإسلام - كمقدمة منطقية للحروب الصليبية ولاسترجاع القدس من المسلمين - يتواجد كخطاب ضمني سلبي، إلى جانب النقل الثقافي عن العالم العربي الإسلامي عبر الأندلس وصقلية وعبر الأراضي المقدسة أيام الحروب الصليبية في بُعد كلي عن أي تشدد ديني في الواقع الملموس، وقد أسهم هذان التياران في نشأة الدراسات العربية التي تم الإقدام عليها في بادئ الأمر لأسباب لاهوتية. في تزامن مع الرفض الشديد للثقافة العربية ومعارفها خلال عصر النهضة كان يتم وضع جدلية قائمة تاريخياً بالعودة إلى الماضي، وذلك بوضع أوروبا - أي حضارة العصر القديم وورثتها المسيحية انطلاقاً من نظرة اليونان إلى الفرس - كنقيض للشرق - أي الهمجية الممتلئة في الإمبراطورية الفارسية قبل الإسلام والإمبراطورية العثمانية الإسلامية - لهذا يمكن - ومنذ العصور الوسطى - الوقوف في النصوص عند الصورة الإيجابية للشرق القديم والشرق التوراتي، قبل تحللها بسبب الإسلام إلى جانب صورة الشرق الهجومي المتخلف.

في المسرح الفرنسي للقرن السابع عشر - ولأول مرة - أصبح الشرق ثالث أكبر مصدر للإلهام الأدبي والفني إلى جانب العصر الكلاسيكي وكتاب التوراة. في نفس الوقت عكس المسرح بشكل مباشر الخطاب السياسي حول الإمبراطورية العثمانية. هذا الخطاب الذي كان لا يزال في الثلث الأول من القرن السابع عشر يندبذ بين نظرة إيجابية ترى في إمبراطورية الشرق الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية حسب مقاييس (Translatio imperii) وأخرى حديثة سلبية ترى فيها حصناً منيعاً للاستبداد الهجومي. في هذا الإطار أصبحت سرايا السلطان مكان الحدث المسرحي بامتياز، فضاء لتشخيص الهمجية والعنف والقساوة والتعسف والخيانة والدسائس والغلمة الفاحشة والسجن أيضاً. هكذا كان يتم تقديم هذه السرايا للجمهور المعاصر وكأنها تشخيص شامل لبنيات حكم الإمبراطورية العثمانية. إن الموضوع الأساسي في مسرحيات جون مري (1604- 1686) (Jean Mairet)؛ سليمان الأكبر والأخير (أو موت مصطفى)(9)؛ جورج دي سكودري (1601- 1667) Georges de Scudery؛ إبراهيم أو الشهير باسا، 1641-1642(10)، ترستان لرميت (1601- 1655) Tristan L'hermite ن اوسمانن (1647)(11). وجون رسين (1639- 1699) Bajazet (1672- 1672) كان هو قوة الاستبداد المطلق للسلطان. إن التحول الذي عرفته النظرة إلى الإمبراطورية العثمانية من حكم شرعي إلى حكم غير شرعي يدعمه الاستبداد العسكري للانكشارية كان موضوعاً رئيسياً في هذه الأعمال المسرحية إلى جانب الخطاب العام حول شرعية الحكم. إلى جانب نفي الشرعية عن حكمها فقدت الإمبراطورية العثمانية كل ما يستلزم تقديرها ومهابتها. فيهرجة الشرق وتهريجه في عمل موليير المسرحي ((1670) (Le Bourgeois Gentilhomme) (13)) هو عبارة عن مسرح سياسي، كما يعتبر مرآة تعكس حال العلاقات بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية. وهكذا فهذا العمل المسرحي هو في نفس الوقت تعبير عن عملية تقهقر الإمبراطورية العثمانية في نظر الفرنسيين، وعن فقدانها لشرعية الحكم الذي رافق هذا التقهقر يداً في يد. بالتالي فإن تركيبات القرن الثامن عشر جعلت الشرق يتحول إلى مجرد فخخة أو الأفضل إلى مسخرة، وبعد ذلك إلى كل ما هو سطحي. وقد تم تكييفه حسب مزاج مذهب الروكو (Rococo) كتعبير عن الشياكة الغريبة ومداعبة النساء. كان هذا المسرح بشكله المسخري في نفس الوقت خاضعاً لقانون الحياة الاجتماعية، وكان يرمز إلى بعض نماذج السلوكات الاجتماعية، فقد تمت نممة الشرق على شكل مرآة جنونية لحياة البلاط. لم يكن التحول الثقافي للشرق وحالته السياسية وإحداثه يهم في شيء فن الرسم في القرن الثامن عشر.

توجد المكتبة الشرقية لهربلوت (Herbelot) التي تم نشرها بعد وفاته وتدون معرفة الأوربيين بالشرق. وقد أعطى هذا الكاتب في نفس الوقت بتركيزه على اللغات العربية والفارسية والتركية دون غيرها تعريفاً ثقافياً وفولجياً جديداً للشرق وحدد رقعة الجغرافية. يمثل عمله هذا بداية عهد جديد في الاستشراق ويرقى به إلى مستوى مادة علمية قائمة بذاتها، وتمثل المقدمة التي كتبها كلون

(14) (Galland) (عن هذا العمل) تقريبا شعارا للاستشراق. تعتبر ترجمته - أي كلون - لألف ليلة وليلة تنمة للتلقي الفلولوجي والاركيولوجي لما هو شرقي إلى جانب تلقيه الفني. تحول كتاب ألف ليلة وليلة في نظر الأوربيين إلى عمل يمثل الأدب العربي الشرقي وإلى تجسيد صادق مزعوم للشرق الحقيقي مع خاصية وثائقية اثنية. منذ ذلك الحين حدد ألف ليلة وليلة بشرقه الخيالي أحد الهياكل الأساسية في نظرة الأوربيين للشرق. ظل عمل كل من هربلوت وفولني إلى غاية القرن التاسع عشر يعتمد كمصدر أساسي للمادة الأدبية والفنية ذي أهمية بالغة في نظرة الغرب للشرق.

من الناحية القانونية اشتق مونتيسكيو (15) وطور مبدأ (استبداد الشرق) كمفهوم سياسي من أرسطو وصاغ مفهوم الشرق الجامد غير المتحرك المشتق من نظرية المناخ. وبهذا فهو ينعت كل حكومة في الشرق بالاستبداد سواء على مستوى تأسيسها أو على مستوى انتقالها وهو ما يعني أنها غير شرعية. وللقيام بهذا استغل مفهوم استبداد الشرق ومعه الشرق كمفهوم إيديولوجي في نسق الخطاب المناهض للاستبداد. وإلى يومنا هذا - وكنتيجة حتمية لهذا المفهوم - ظل الشرق مقرونا في دلالاته بالاستبداد، وقد سبق لمونتيسكيو في رسائله الفارسية (1721) (16) أن بلور ووضع في أسلوب ساخر ومازح المواضيع الرئيسية والأطروحات والمفاهيم التي ينطوي عليها أكبر أعماله السياسية في علاقة مع استبداد الشرق.

في تزامن مع النقاش الذي أثير حول التأليه في القرن الثامن عشر ظهر تغيير جذري في النظرة إلى الإسلام والشرق. من خلال الموقف المتأرجح لفولتير (Voltaire) تجاه الإسلام والعالم العربي تظهر بشكل محدد المواقف المتناقضة لعصر التنوير. فمحمد e والإسلام تم استغلالهما لصالح نقاشات وخلافات دينية وفلسفية داخلية. ينطبق هذا التوظيف أو الاستغلال على القرن الثامن عشر كله بأسطوره المتناقضة عن محمد والتي حلت مكان الأسطورة السلبية القاتمة التي أفرزتها عنه العصور الوسطى. وقد نجح فولتير في ربط أسطورة محمد e التي حدد معالمها أكثر بولانفليبي (1722- 1658) (Boulainvillier) في كتابه (حياة محمد (1730)) «e (17) الذي قدم فيه الرسول كأحد الغزاة - الفاتحين - والمشرعين الكبار نجح في ربطها بفكرة سمو وانحطاط الثقافة العربية من وجهة نظر عامة.

حاول فولتير المؤرخ في دراسته عن الأخلاقيات (18) (1756) (Les mœurs) على الأقل تغيير النظرة الخاطئة إلى الشرق والإسلام منذ العصور الوسطى وتطرق للمفهوم الجديد لاستبداد الشرق. غير أن اهتماماته الإيديولوجية توضح لماذا استكمل هو نفسه هذا المفهوم فيما مضى من خلال عمله التراجمي للتشدد أو محمد الرسول (19) (1741) (e) بمفهوم تكميلي للتشدد بالرغم من أن مسرحيته هذه ليست في الحقيقة سوى تمويه لهجومه الأساسي على الكاثوليكية والبابوية كمثلين للتعصب الديني ومصدرين للتشدد.

حسب إيديولوجي أواخر عصر التنوير أمثال كوندورسي (1794- 1743) (Condorcet) من خلال عمله نبذة عن تاريخ تطور الفكر البشري (93- 1795) (20)، وفولني (Volney) من خلال عمله سفر إلى سوريا ومصر (1787) (21) ومن خلال عمله الفلسفي والتاريخي التكميلي (الأنقاض) (1791) (22)، حسب هؤلاء فإن التعصب الديني والاستبداد هما نقيضا للعقل والحرية، وبالتالي فهما نقيضا لمفهوم الحضارة. منذ ذلك الحين يتم حصرا تعريف الشرق بالإسلام ويتم تعريف الإسلام نفسه بأنه عدو كل العلوم والفنون ونقيض للتحضر في حد ذاته، بحيث يستحيل معه التطور والتقدم، وهو ما يجعل الشرق يركن إلى حالة ما قبل العصرية. منذ ذلك الحين فصاعدا عرف الغرب نفسه بمقارنته مع الشرق على أنه حصن التقدم والعصرية بلا منازع والمدافع الأول عن العقل، وهو ما ترتبت عنه مسؤولية الأوربيين في تحرير الشرق من ركوده الحضاري. حسب العقلائي الرديكالي فولني (23) فإن الإسلام هو السبب الحقيقي في استبداد الشرق وأصل كل ما هو مذموم في هذه المنطقة. حسب منظوره دائما فإن العرب غير قادرين على تسيير شأنهم ولا يعرفون أي شكل من أشكال الحكم الشرعي، ولهذا فهم عاجزون على إعطاء الانطلاقة لعملية التحضر التي خاضتها أوربا، وذلك من أجل تحرير ذواتهم من الجهل والعبودية. بموجب هذا يسدل فولني ثوب الشرعية على الاستعمار المشتق من مفهوم للحضارة، وهو بمثابة مهمة تقضي بتحرير الشرق وتحضيره يكون فيها لأوربا - ولفرنسا بشكل خاص - دور المحرر كدور سياسي طلائعي تجاه الشرق وخاصة تجاه العرب.

تعتبر حملة نابليون على مصر سنة 1798م أول توسع أوربي داخل العالم العربي منذ الحروب الصليبية وبداية ما يعرف بالسياسة العربية. كمحمد جديد أحس بونبارت بدعوة الشرق له قصد تأسيس إمبراطورية شرقية حديثة وبعث شرق جديد والدفع قدما بمهامه سيرا على نهج أسطورة محمد e أو محمد الأسطورة كفاتح ومشرع عظيم في تلك اللحظة التاريخية. تحول الاستشراق - معرفة الشرق والإسلام - والآراء الإيديولوجية والعملية لفولني أحد أهم الممهدين للحملة الفرنسية على مصر، داخل البرنامج السياسي لنابليون لأول مرة إلى وسيلة للغزو والاستعمار معا. وبإقدامه على هذا فهو أول من استعمل سياسة إسلامية ومن هناك سياسة عربية. وبهذا يصبح تأسيس دولة عربية، مملكة عربية. أحد أهم أهداف السياسة الفرنسية العربية في القرن التاسع عشر بالرغم من أن هذا الهدف يشوبه بعض الغموض.

يرمي وصف مصر «(9- 1928) (24) الذي يدعي أنه يحتوي بشكل موسوعي كل المعرفة المصرية القديمة منها والحديثة، يرمي في ازدواجية غير متوازنة بين السلاح والأدب إلى متحفة الشرق وجعله مبحثا للأثرينات، على وجه الخصوص مصر. وقد كان هذا الوصف في نفس الوقت جزءا من مشروع كبير لنشر الحضارة في الشرق. قاد هذا بالتالي إلى ظهور تغييرات على ملامح كل من الحملة على مصر ونابليون معا داخل إطار شرق ملحمي، فأصبحت كمشاهد من ملحمة بطولية في سياق فن الرسم التاريخي الذي وضع به حقا جون انطوان كرو (1835- 1771) (Jean Antoine Gros) فن الرسم الشرقي واستهل به صورة الشرق الرومانسية.

يعني الفتح الفيلولوجي لعالم جديد قديم عند نهاية القرن الثامن عشر بداية نهضة جديدة ويطلق عليها النهضة الشرقية كما سماها بذلك ادكاركني (1803- 1875) (Edgar Quinet) وهي تعبير عن الكونية الجديدة من منظور عالمي، وتعرف الشرق على أساس أنه الجزء المطاوع والسلبى غير المدرك لذاته كمصدر للحكمة والمعرفة بينما يمثل الغرب الجزء الفعال والمفكر الذي يدرك ذاته. وقد نتج عن هذا التعريف صورة شرق صوفي روحاني إلى جانب فكرة العودة إلى الأصل، مع الأخذ بعين الاعتبار العصور القديمة والمسيحية أيضا، وذلك للبحث عن أصالة مفقودة في نبع الحضارة من خلال السفر إلى الشرق وأيضا ضمن أعراف أبوية شرقية.

تم التركيز في القرن التاسع عشر على مسألة إعادة القيمة للشرق التي فقدتها مع الإسلام والاستبداد، ليس فقط عبر الأدب والفن - الرسم - الذي استلهم شكله من فن البديع الذي هيمن على النظرة إلى الشرق حتى فوق المسرح. تعتبر العودة إلى الأدب والتراث الإغريقي أول خطوة إيديولوجية أوربية تستهدف الإمبراطورية العثمانية التي كان ينظر إليها منذ ذلك الحين كإمبراطورية إمبريالية - استعمارية - وتجمع بين المفهوم العلماني للحضارة والأفكار المسيحية والإنسية الحديثة. وهذه الخطوة هي أول تعبير عن هذه النظرة التقييمية الحاضرة بقوة في أهم الأعمال الرومانسية الفرنسية المتعلقة بالشرق؛ فهي حاضرة في عمل فيكتور هوجو (1802- 1885) (Eugen Delacroix) (1798- 1883) في إسبانيا المورسكية. الأندلس، خاصة غرناطة، ثم عزل شرق مثالي كصورة نقیضة للإمبراطورية العثمانية، شرق متحرر لا- تكبله قيود الاستبداد والتعصب التركي وهذا الشرق حاضر في مغامرات آخر ابنسراج (1826) (26) لفرونسوا غني شتوبريون (François René de Chateaubriand) (1768- 1848) وفي مشرقيات هوكو وفي سفر إلى إسبانيا (1843) (27) تبوفيل كوتيه (Theophile Gautier) (1811- 1872) وأيضا في رسوم الفريد دهودنك (Alfred Dehodencq) (1822- 1882) وهنري رونو (Henry Regnault) (1843- 1871). من خلال صورة آخر أمراء غرناطة تم رسم هذا العالم المثالي بشكل استيعادي وأعطى صورة مكان طوباوي وفردوس مفقود. كان هذا ممكنا؛ لأن الأندلس أصبحت ضمن ما كان بمشاهدها وواقعها الحالي عكس الشرق الشرقي حيث يصطدم الخيال بالواقع ويندثر الحلم ليفضي بصاحبه إلى الانتكاسة. رغما عن هذا كان لا بد للثقافة المورسكية أن تسير نحو الهوة؛ لأنها وليدة ظروف الانحطاط والتميق.

قد تكون فكرة إعادة القيمة للشرق إما صيغت من مفهوم شرق طرس (يعاد بناؤه بعد طمس ملامحه الأصلية)، أو من مشاريع سياسية لنشر الحضارة في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر، كما جاء ذلك عند لامارتين (Lamartine)، وقد عرفت فيما بعد تأييدا إيديولوجيا على مستوى علمي من طرف ارنت رنان (Ernest Renan) (1823- 1892) الذي أكد من منظور وضعي على جدلية العلاقة بين الشرق والغرب، وبعد ذلك مباشرة على ضعف الجنس السامي وعدوانية الإسلام غير المتحضر للعلوم والتقدم (28). واستعمار الشرق يعني تغييره حسب مفاهيم تحررية وتحضرية. بالإضافة إلى هذا التقييم الموضوعي على المستوى السياسي والثقافي كان هناك تقييم ذاتي للرومانسيين وللمسافرين نحو الشرق يعطي دلالة شخصية للشرق. بالنسبة لشتوبريون (Chateaubriand) (المسلك من باريس إلى القدس 1811) (29)، الفونس دو لمرتين (Alphonse de Lamartine) (ذكريات، انطباعات، أفكار ومناظر خلال سفر إلى الشرق، 1835) (30)، جيرار دونرفال (Gerard de Nerval) (1808- 1855)، سفر إلى الشرق، 1852) (31)، كوستاف فلوبيير (Gustave Flaubert) (1821- 1880)، مذكرات ورسائل سفره إلى الشرق، 1849- 1851) (32) وكوتيه (Gautier) (قسطنطينية 1833) (33) بالنسبة لهؤلاء كان الشرق يعني على التوالي صقل الهوية وتحقيق الذات وأيضا استعادة الرشاقة والهروب عن الواقع أو أقصى المتعة كما هو الحال عند فلوبيير الذي تخلص بنظرته الخيالية من كل سوء عالق بالصورة الرومانسية للشرق وبمفهوم الحضارة في آن واحد.

لهذا فإن فكرة الرجوع إلى الأصل في ضوء النهضة الشرقية كانت مهيمنة وكانت ترتبط بالفكرة الدينية عن الفردوس المفقود في شكل حرب صليبية اركيولوجية صوفية - دينية/تأهيلية أو فنية الغاية منها إعادة السيطرة على الشرق. في إطار فكرة الشرق الطرس يظهر الإسلام كمتسلط أو كحقة تاريخية وضعت بين قوسين. لهذا تصبح الرحلة كوسيلة لإعادة القيمة أيضا وسيلة لاستعادة القديم والموروث المسيحي، وكل هذا يصب في آخر المطاف في أطروحة علمنة الإسلام التي تهدف إلى إلغاء ديكتوميا الشرق والغرب. في غضون هذا وعكس هذا المفهوم أصبح الشرق كفضاء حقيقي أو خيالي للهروب وكشاشة أو مرآة تعكس النزوات الجنسية والوحشية للأوربيين وعالم أحلام مركبة ومصطنعة مثل عالم النرفال (نسبة إلى نرفال)، عالم تنتهك فيه كل الحرمات. يفقد الشرق وجوده المادي عند كوتيه كمحفل أو مسرحية في سياق جمالي وسيكولوجي خاضع للإدراك، تجد عملية إلغاء الوجود المادي الإبرادية للشرق مساحة هامة في أعمال بيبيرلوتي (Pierre Loti) (1830- 1923) الذي كان يعني له الشرق الثابت في عصر الإمبريالية من منظور تقييم إيجابي وقفا للزمن وقبول عقلي بوجود الموت في كل مكان بينما يمثل (شرق الحنين «موطن ذكرياته في شكل وجود بديل للحدث الأوربية» (34).

لقد تعقب فن الرسم الرومانسي الشرقي الذي تأثر كثيرا بكروس (Gros) في بادئ الأمر صورة شرق تسوده الفوضوية وتحكمه الأهواء وكان الهدف منها أولا وقبل كل شيء هو تحقيق الذات الرومانسية كما صاغها لورد بيرون (Lord Byron) (1788- 1824) في حكاياته التركية الشهيرة جدا. هكذا فإن هذا الشرق الرومانسي الخيالي العنيف كان هو الطابع المميز للمرحلة الأولى من رسوم دولكروى (De la croix) الشرقية. بعد سفره إلى المغرب سنة 1832م بدأت تجربته الشرقية تكتسي بعدا مثاليا يخلد القديم، وقد أسهم في نسج هذا البعد قيم ثابتة تأتي كمشروع إيجابي بديل لما يعرف بالحضارة الأوربية والتقدم بالتكامل.

لقد استمر تيودور شسريو (Theodore Chasseriau) (1819- 1856) على هذا النهج الذي يشرف الشرق ويعظمه باستحضار الأزمنة التوراتية والتناسق الذي كان يطبعها، بينما ركز أوجين فرومنتان (Eugène Fromentin) (1820- 1876) على تجسيد تصوير حقيقي صادق للشرق في تناغم بين الإنسان والطبيعة مع إعطاء أعماله صبغة اثنوغرافية. خلقت أعمال جون أوكست (Jean

1867-1788) Auguste - استنادا إلى مفهوم مونتييسكيو لاستبداد الشرق - نموذج المرأة المثالية من خلال صورة المرأة الشرقية الخاضعة والمثيرة للرغبة كحصيلة لتخيل الأنوثة عبر مشاهد الحريم والحمامات والتي وظفت كشاشة تلقي بالضوء على نزوات الأوربيين، وتمثل تأنيثا للشرق في حد ذاته. يتم توظيف أنثوية الشرق كنظير لفحولة الغرب في شكل علاقة بين الغازي والمغزو وبين الحرية والظلم. لهذا فإن صورة الشرق الفنية والجمالية تم تحميلها وبتزايد بدلالات جنسية.

قدم وليام بكفورد (1760 - 1844) من خلال روايته فتية (35) (Vathek (1786) نموذجا أصليا ومؤسسا لمتانص (Meta - texte) الانحطاط الفرنسي الذي يحمل بنفسه قسماط طابع شرقي بارز. لم يكتب (Vathek) أهمية في أدب آخر القرن - ليرقى إلى مستوى التأثير في هويسمان (Hysmans) وأوسكار وايلد (Oscar Wilde) من بين آخرين - إلا بعد نشر طبعته الفرنسية الجديدة سنة 1875م بمقدمتها المرتلة والتصويرية بقلم ستيفان ملرمي (Stephane Mallarmé)، والتي كانت أساسية في استقبال الجمهور له. تثبت الصفات المميزة للانحطاط: التأنث حتى الخنث، اللذة، الشهوانية، الإباحية والزينة حتى النوراستينيا إلى جانب الفجر والانحراف الجنسي بما فيه القساوة والسادية، طابع فاتيك الشرقي غير المعروف ما دام أن كل هذه السمات تم تقديمها على أنها مكونة للشرق السلبي كنظير أنثوي لأوروبا ضمن نسق مفهوم انحطاط الشرق الذي يعود إلى العصر القديم. لقد ابتكر دولاكروا (Delacroix) من خلال عمله وفاة سردبنال (1827) (La mort de Sardanapale) تقريبا أيقونة الاستشراق والانحطاط عبر تركيب كل هذه العناصر داخل رسم تصويري. إن فكرة عدوى الشرق الموجودة منذ القدم تمت إعادة تقييمها بشكل إيجابي داخل بنية انحطاط الشرق مع خلق شرق خيالي جديد في نفس الألوان.

عبر الخيبة كآلية لزوال الوهم الذي كان قد رافق أسفار الرومانسيين إلى الشرق - والبارز بشكل خاص في أعمال فلوبيير الواقعية جدا: الشرق الأسطوري، سراب الشرق - تم تدمير بشكل نهائي صور الشرق الأسطوري التي نسجتها ألف ليلة وليلة ولورد بيرون، هوكو ودولكروا وذلك من خلال عصرنتها وجعلها أوربية. وقد أفضى هذا عند لوتي (Loti) إلى الهروب تجاه شرق حميمي وعند موريس باريس (1862- 1923) (Maurice Barres)، بحث في بلدان الشرق (1923) (37) إلى البحث عن حماسة الشرق الصوفي بفكرة الانصهار بين الشرق والغرب أخذا بنموذج الاسكندر الأكبر لكن تحت القيادة الفرنسية، وعند أندري جيد (André Gide) (1869- 1951) (المسيرة التركية 1914) (38) إلى النظر إلى الشرق العربي الإسلامي في نهاية الأمر بنفس النظرة الكلبية والمزدرية التي نظرت إليها بها الامبريالية الأوربية قبل الحرب العالمية الأولى. في رسوم إتيان دني (Etienne Dinet) (1861- 1929) وإن كان ذلك على غير قصد ظهرت بهجة الإسلام والشرق ضمن تصوير فردوس أهلي في الجزائر احتفظ في الظاهر بكل خصوصياته كمكان منعزل عن العالم لم يمسه الاستعمار والامبريالية.

أتضح من جهة أن بعض الآراء الجاهزة قد حددت صورة الشرق والإسلام منذ العصور الوسطى وعصر النهضة؛ لكن من جهة أخرى تبين أن صورا مختلفة منذ ذلك الحين أسهمت في تحديد النظرة إلى الشرق والإسلام وتصويرهما. في سياق تطور هذه النظرة تعامل المسرح في القرن السابع عشر تحت زي الألوان المحلية أساسا مع شرعية الحكم داخل الإمبراطورية العثمانية، هذه الشرعية التي تم تعريفها - من وجهة نظر مونتييسكيو عن استبداد الشرق - على أنها غير شرعية لا على المستوى التأسيسي ولا على المستوى الوراثي. تم تحويل هذا الخطاب الذي كان جله سياسيا في القرن السابع عشر والثامن عشر إلى مستوى خطاب فيلولوجي وفني من طرف هربلوت، كلون وأيضا مونتييسكيو الذي أكد على الثقافة العربية وما حققته عبر حكاياتها التي تشبه الشيء الغريب الجذاب، والذي تم تصويره على أنه شيء حقيقي. وقد تطور هذا الخطاب عبر أسطورة محمد إلى موضوع عظمة وانحطاط الثقافة العربية؛ ليصب في خطاب أواخر عصر التنوير معلنا أن العصر الذهبي للثقافة العربية إنما هو ظاهرة تاريخية متناقضة وزائلة في شكلها النهائي. عبر بلورة مفاهيم استبداد الشرق والتعصب في عنصر مكمّل لإيديولوجيا الثورة وللمفهوم التأسيسي للحضارة، خاصة عند فولفي في الأنقاض، تم تسييس الشرق مرة أخرى وبصفة دائمة فأصبح موضوعا للمسألة الشرقية التي تسترت في إطار مخطط اللعبة الكبيرة وراء عملية التحرير والتحضير المعلنه والتي ابتدأت بحملة نابليون على مصر. هكذا وعلاوة على كل صور الهمجية والتعصب والاستبداد المميزة للشرق يوجد شرق جزئي عادل يشبه الحكايات الجذابة لألف ليلة وليلة، بل كان هناك تقريبا شرقان بفعل هذه الازدواجية في النظرة إلا أن أفكار الشرق المستبد والإسلام المتعصب كانت أكثر فاعلية.

لا يكفي مفهوم الخطاب الذي حدده فوكو (Foucault) كقاعدة لخطاب الاستشراق لإدوارد سعيد، بسبب إغائه للعوامل السياسية والإيديولوجية لفهم علاقة أوربا وبالتالي علاقة فرنسا بالشرق. فعوض خطاب الاستشراق يوجد منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا في معنى عام خطاب شرقي شامل، له امتداداته وتراكيبه المعقدة وميادينه المختلفة، وقد تمت بلورته في عصر النهضة كاستمرارية تاريخية تجد أصلها في العصر القديم. يتألف هذا الخطاب الشرقي نفسه من جزئين ويشكل هذان الجزئان إطارا للعديد من الخطابات الجزئية وعناصر الخطاب على مستويات مختلفة منها السياسية ومنها الثقافية (الاركيولوجية، التاريخية الفيلولوجية والفلسفية) والفنية والاقتصادية. توجد هذه الخطابات الجزئية في تماميتها أو في عناصر تعاقبية أو تزامنية ويتفاعل بعضها مع بعض، وتتداخل وتتشابك لتعلن عن ميلاد خطابات جزئية أخرى جديدة. وهي نفسها تشكل جزءا من خطابات خارجية أكبر. تتم رؤية الشرق عبر هذا الخطاب كوحدة وموضوع بالرغم أن الخطابات الخاصة تحدث بتفاعلاتها الجزئية صورا مختلفة للشرق هي نفسها لها وجود تعاقبي وتزامني يمكنه أن يتدخل في رؤية الشرق وتصويره.

بالنسبة للعصور الوسطى وعصر النهضة فإن الخطاب المتحيز والشاسع الذي يعرف على أساس ديني/لاهوتي جدلية المسيحية: أوربا والإسلام كان نافذ المفعول، وقد كان يضم الخطابات الجزئية أو الضمنية للجدل المناهض للإسلام وإيديولوجيا الحروب الصليبية بما فيها الاسترجاع والنقل الثقافي عن الأندلس وصقلية والدراسات الفيلولوجية، يسيطر على العصر الحديث الخطاب الذي حددته الجدلية الدنيوية بين الغرب والشرق بدعم من مفهوم عن الحضارة يكاد يكون دينيا ومدنيا تمت صياغته في أواخر عصر

التنوير. كانت أجزاء من هذا الخطاب تمهيدية في القرنين السادس والسابع عشر للخطاب حول بنية الحكم في الإمبراطورية العثمانية والذي لا يمكن فصله عن تطور النظريات السياسية الحديثة. في القرن الثامن عشر رافق الخطاب حول استبداد الشرق - أسطورة محمد - عظمة وانحطاط الثقافة العربية، مفهوم التشدد والحملة على مصر، رفاقه وعادله خطاب حول الغرابية والهروب ينظر إلى شرق الحكايات كعالم فني نقيض للعالم الواقعي. كل هذه الخطابات الصغيرة مندمجة بدورها في خطابات سياسية، ثقافية وخارجية أخرى مثل الخطاب المتعلق بالحكم الشرعي والعدل والخطاب المناهض للاستبداد والخطابات الكبيرة لعصر التنوير، لهذا السبب يتم استغلال الشرق الآخر على الأقل لتحديد الهوية عبر الاختلاف.

من بين صور الشرق التي تم نسخها توجد صورة الشرق القديم والشرق التوراتي مع صورة ضمنية للشرق الطرس. الشرق الهمجي المستبد الشرق المتعصب الشرق الخيالي (ألف ليلة وليلة) الشرق الغريب الجذاب والشرق الملحمي لفن الرسم، الشرق في تزامن مع استبداد الشرق ومفهوم الشرق الثابت على مستوى ضمني للإدراك وكأنه معطى ابستمولوجي، في شموليتها أو في فرديتها فهذه الصور بشكل إيجابي أو سلبي تعرف الشرق وتحدد قيمته. يمكن تركيب صور الشرق المختلفة هذه في متاصورتين متباينتين ومهيمنتين للشرق (الشرق المزدوج) أي الشرق المستبد/المتعصب على المستوى السياسي للخطاب وشرق خيالي على مستواه الجمالي.

يعتبر حقل الخطاب هذا أو شبكته أكثر تعقيدا وتميزا مما يتوقعه خطاب الاستشراق لإدوارد سعيد، وهذا الرسم البياني المبسط جدا محاولة لتصوير هذا الواقع دون القدرة على توضيح وإبراز تعقيداته وتداخلاته ودون ادعاء الإلمام به

| خطاب الشرق   |   |   |  |
|--|---|---|--|
| القرن 16 - وجود ديكتوميا الشرق - الغرب (مفهوم دنيوي للحضارة)   |   | العصور الوسطى/عصر النهضة جدلية المسيحية - الإسلام (الدين) |  |
| الخطاب الاركيولوجي والتاريخي   | الحكم في الإمبراطورية العثمانية (مسألة الحكم العدل)   | الدراسات العربية  | الجدل المناهض للإسلام (أسطورة محمد e)                            |
| الخطاب الفيولوجي الفني   | استبداد الشرق (الخطاب المعادي للاستبداد) انحطاط الشرق | النقل الثقافي الأندلس وصقلية                              | إيديولوجيا الحروب الصليبية والاستعادة                            |
| المسألة الشرقية السياسية العربية مهام التحضير والتحرير الخطاب حول مصر العودة إلى التراث اليوناني الاستعمار الإمبريالية | عظمة وانحطاط الثقافة العربية                          | عدوى الشرق  | الجدلية القديمة الوحشية - الحضارة الاستبداد الآسيوي انحطاط الشرق |

|                |                |  |  |
|----------------|----------------|--|--|
| اغرابية - هروب | النهضة الشرقية |  |  |
|----------------|----------------|--|--|

| صور الشرق      |              |                 |                      |
|----------------|--------------|-----------------|----------------------|
| الشرق القديم   | الشرق الهمجي | الشرق الثابت    | الشرق الطرس          |
| الشرق التوراتي |              | الشرق المستبد   | الشرق الخيالي        |
|                |              | الشرق المتشدد   | الشرق الفني          |
|                |              | الشرق الملحمي   | الشرق الرومانسي      |
|                |              | الشرق الكلاسيكي | الشرق الاغرابي       |
|                |              | الشرق المنحط    | الشرق الروحي والصوفي |

يفضي تحليل النص الرئيسي والصور رغم الاستدلال بها كثيراً مع قلة دراستها، إلى إبراز ضيق المسافة بين الخطاب ومختلف صور الشرق في النصوص وكيف أن الصور محبوكة على مستوى التناص والوسطية منذ عصر النهضة، وهو ما يفسر تأثير مونتيسكيو المميز دائماً والذي لم يعرف قط انقطاعاً إلى يومنا هذا.

عوض تحليل تعاقبي ضروري ومميز وتقييم للأنظمة السياسية، الثقافة والمجتمع بما في ذلك الدين (ليس فقط الدين الإسلامي) لكل بلد من بلدان الشرق على حدة وكيفما كان تعريفه الجغرافي فإن الشرق، أي العالم العربي، تركيا وبلاد فارس، تم اعتبارها دائماً على كل المستويات كوحدة. وقد يكون من العبث إلقاء اللوم في هذا على الأدب والفن الذي أعطيا منذ القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر للإسلام والشرق قالباً روائياً لأسباب جمالية واستغلاء في إطار الخطاب السياسي والفلسفي. رغم هذا فإن الاستمرار في النظر إلى الإسلام والشرق كوحدة يحب صياغته لأنه يمثل الإشكال الأساسي للاستشراق كمادة علمية. زيادة على هذا فإن تصويراً مميزاً لكل منهما كان سيكون بصعوبة من مهام الأدب الروائي والفن بالرغم من أنهما ساهما دون توازن في سرمدة وتقوية هذه النظرة الوحوية في وعي الجماهير.

منذ عصور التنوير تحول الإسلام من حليف طبيعي للاستبداد الشرقي إلى الظرفية الأيديولوجية التي أفرزت الاستبداد في تفسير

يجهل كل الأسباب الأخرى دون تمييز، لقد تم اعتبار الإسلام مسؤولاً- كعامل مسيطر على كل ظروف الشرق. هذه النظرة البرديكماتيكية، التقييمية في حد ذاتها وبسبب ضرورة ازدواجية الإيجابي والسلبي التي تدمج وحدات الشرق والإسلام المنظور إليها على أنها متجانسة في وحدة جديدة لا يمكن تجزئتها، يكون فيها الإسلام مبدأ معادياً للتحضر، هذه النظرة تصيح بالتالي أداة صالحة أو مفتاحاً لكل تجربة حقيقية عن الشرق ومثالية كما هو الحال عند فولني نفسه. نتج عن هذا صورة الشرق الثابت الذي تم تعريفه في الوهلة الأولى وراثياً على أنه شكل العقلية الشرقية. فيما بعد تم اشتقاق ثباتية الشرق من ثباتية الإسلام التي تمت صياغتها والمتمظهرة في القرية التي تطابق بالضبط هذه العقلية. عند نهاية القرن الثامن عشر أصبح الشرق كمفهوم في نظرة الأوربيين وبشكل نهائي وحدة متجانسة ثابتة، فضاء يقع خارج الزمن حيث بقيت الظروف البطروكية للتوراة هي هي ولم تعرف أي تغيير.

\*\*\*\*\*

## الحواشي

(\* أكاديمي وباحث، جامعة آخن، ألمانيا.

1- سيتم نشره ككتاب باللغة الألمانية.

2- هر بلوت دومر لان في: المكتبة الشرقية أو القاموس العام الحاوي عموماً لكل ما يخص معرفة شعوب الشرق، باريس 1697م.

3- قارن: إدوارد سعيد الاستشراق، نظرة الغرب إلى الشرق، تم طبعه مع ملحق جديد، لندن 1995م.

4- قارن: هنتش تييري الشرق الخيالي، النظرة السياسية الغربية لشرق المتوسط، باريس 1988م.

5- قارن: كلينكنبرغ ميخائيل Freidensproze B Munster - 2002، Die Rolle der EU in Nahost

6- قارن: لوينس هنري Laurens، Henry المملكة المستحيلة، فرنسا وولادة العالم العربي باريس 1990م.

7- قارن: دفرنوي ماري لويز Dufrenoy MI الشرق الخيالي في فرنسا 3- مونتريال 1946 و 1947م، 3 امستردام 1975م.

8- قارن: فوك جوهان Die arabischen studien in Europa bis in den Anfang de 20: Fuck Johann

9- جون ميري Jean Mairet المسرح الكامل نشر ونقد تحت إشراف جورج فرستتي Georges Forestier لسوفونيز ب Sophonisbe، مارك انطوان أو كليوباترا، سليمان الأكبر والأخير اوموت مصطفى جمع النصوص وعلق عليها بنديكت لوفات Benedict Louvat آلان رفو Alain Riffaud - مارك فيورمز Marc Veuillermoz باريس 2004م.

10- قارن: جورج سكودري Georges Scudery إبراهيم أو الشهير باسا النص من ترتيب وتقديم افلين دترت Eveline Duterte باريس 1998م.

11- ترستان لرميت Tristan l'hermite المسرح الكامل لترستان لوميت طبعة نقدية عل يد كل من كلودك ابرهام، جيروم شويتزر. جاكليان فان بلن - تقديم امدي كرياتي Amedee Carriati، الباما 1975م.

12- قارن: رسين Racines الأعمال الكاملة 1- المسرح. الشعر. نشر ريموند بكار باريس 1950م (مكتبة ليليا Lap leide).

13- قارن: موليير الأعمال الكاملة نصوص من وضع وتقديم جورج كوتون Couton ... باريس 71 - 1972م (مكتبة La Pleiade).

14- قارن: كلون انطوان Galland A (ترجمة) ألف ليلة وليلة نشر بكار حجين باريس 1982م.

15- قارن: مونتيكيو، الأعمال الكاملة، نشر روجي كلوان Roger Callois، في حجين باريس 1949 و 1951م (مكتبة La pleiade).

16- قارن: مونتيكيو، الرسائل الفارسية نشر لوران فرسني Laurent Versini، باريس 1995م.

17- بولنفليي هنري Boulainvilliers H حياة محمد لندن امستردام 1730م.

18- فولتير Essai sur les mœurs et l'esprit des nations et sur les principaux faits de l'histoire depuis charlemagne jusqu'à Louis XIII. نشر روني بومو في جزئين باريس 1963م.

19- قارن: فولتير، التعصب أو محمد الرسول، في الأعمال الكاملة الطبعة الجديدة، نشر Moland 52 جزءاً باريس 1877- 1885م.

20- قارن: كوندوسي ماري جون انطوان: Esquisse d'un tableau historique des progrès de l'esprit humain. تقديم مونيك وفرنسوا هنكر، باريس 1877 - 1885م.

21- قارن أعمال فولني، الجزء الثالث سفر إلى مصر وسوريا، تأملات حول حرب الأتراك نصوص جمعها ونقحتها آن دنيس - توني Tunney - Anne Deneys وهنري دنيس Deneys باريس 1998م.



- 22- قارن فولني الأناض أو تأملات حول ثورات الامبراطوريات، الطبعة 10 قد ضم إليها (القانون الطبيعي «أعيدت طبعة باريس 1822؛ تقديم جون تولار Tulard جنيف 1979).
- 23- وصف مصر أو مجموعة الملاحظات والأبحاث التي تم القيام بها في مصر خلال الحملة الفرنسية، الطبعة الثانية المهداة للملك نشر C.L F Panckoucke، جزء باريس 1821م.
- 24- قارن: كويني ادكار Quinet Edgar، النهضة الشرقية، تقديم جون ميشيل كورنو J.M cornu، باريس 2003م.
- 25- قارن: هوغو فيكتور Hugo Victor، المشرقيات أوراق الخريف، نشر بيير البوي Pierre Albouy، باريس 2002م.
- 26- قارن: شتوبريون Château briand: مغامرات اخرا بنسراج، تقديم ونشر بيير مور Pierre Moreau، باريس 1971م.
- 27- قارن: كوتيي تيوفيل Gautier سفر إلى إسبانيا متبوعا بإسبانيا، تقديم وتحقيق باتريك برثي Patrick Berthier، باريس 1981م.
- 28- قارن: رنان ارنست الإسلام والعلم مع جواب الأفغاني باريس 2003م.
- 29- قارن: شتوبريون Chateaubriand، المسلك من باريس إلى القدس تقديم جون مورت J. Mourot، باريس 1968م.
- 30- قارن: لمرتني A. Lamartine، سفر إلى الشرق، تقديم وتحقيق سركا موسى Sarga Moussa، باريس 2000م.
- 31- قارن: نرفال Nerval Gerard، سفر إلى الشرق تقديم اندري ميكيل André Miquel، تحقيق جون غيوم وكلود بشو وتقديم كلود بشوا باريس 1998م.
- 32- قارن: فلوبيير كوستاف سفر إلى مصر (1849 - 1851م) مصر - لبنان - فلسطين - فادس - آسيا الصغرى - فسطنطينية - اليونان - إيطاليا تقديم كلودين كودهوت مرش Godhot Mersch تعليق ستيفاني دور دكروسللي Crouslé - Stéphanie Dord، باريس 2006م ومراسلة 1 يناير 1830م إلى أبريل 1851م طبعة حققها وقدمها جون برنو J.Bruneau باريس 1973م (مكتبة Pleiade).
- 33- قارن: كوتييه Gautier قسطنطينية ونصوص أخرى حول تركيا. تقديم سركا موسى Sarga Moussa باريس 1990م.
- 34- قارن: لوتي بيير Loti Pierre أزياد شبح الشرق (Aziyade) نشر كلودمرتان باريس 1990م وأسفار (1872 - 1913م) نشر كلود مرتان باريس 1991م.
- 35- قارن: بكفورد ويليام William Beckford، Vathek et ses épisodes:، نشر ديديي جرار Didier Gerard، بارس 2003 (أول طبعة نقدية مع بعض الاختلافات انطلاقا من طبعة لوزان 1786).
- 36- قارن: باريس موريس Barres Maurice، بحث في بلدان الشرق (Enquête aux pays du levant)، تقديم جاك هوري Jacques Huré باريس 2005م.
- (1889 - 1939م، باريس 1948م (مكتبة Gide André، Journal 37- قارن: جيذا ندري